**محاضرات الادب**

**مدرسة الديوان**

الوزن:

يعد الزهاوي من أوائل النقاد العراقيين الذين تناولوا قضية الوزن الشعري، اذ لم يكن يرضَ بالجمود على الاوزان التي اكتشفها الخليل بن احمد الفراهيدي ويعدها من اسباب تأخر الشعر العربي الحديث ودعا الى تطويرها إذ يقول عن الوزن الشعري ((من اسباب تأخر الشعر عندنا جمودنا على القديم من (الاوزان) ولو كان الشعر متقدماً عندنا لما اضطررنا ان نغير كثيراً من الكلمات عن طبيعتها لتجيء موافقة للوزن( ) ويعني بتطور الاوزان في رأيه المجرد اشتقاق موسيقى جديدة او اوزان جديدة تلائم العصر فهو لا يدعو الى ترك الوزن في الشعر وانما دعوة لتطور الوزن وايجاد اوزان جديدة لم يعرفها القدماء( ) فيقول ((وأجيز للشاعر ان ينظم على أي وزن يشاء سواء كان في اوزان الخليل أو غيرها))( ). ويرتكز في دعوته هذه على ايمانه بتوليد الوزن الشعري من اللغة المتكلم بها ويرى ان الاوزان القديمة كانت قادرة على استيعاب احاسيس الشعراء قديماً لانبثاقها من لغتهم لكنها عاجزة ن استيعاب الاحاسيس العصرية لكونها غريبة عن لغة العصر بل انها اضرت الشعر حين اضطرت الشعراء الى تحوير الالفاظ حفاظاً على الوزن بالاضافة الى ما يلحق الشعر نفسه من تقصير وتخلف عن الشعر الغربي( ). فتطور الشعر تبع لتطور الوزن ومفتاح تطور الوزن اشتقاقه من اللغة العصرية والاستئناس باوزان شعراء العامة حفاظاً على بنية الالفاظ ودفعاً بالشعر الى أمام، اذ يرى الزهاوي إن اصحاب الاوزان الجديدة في منأى عن العيوب الشعرية لتولد اوزانهم( ) ((من لغتهم التي يتكلمون بها فهي توافقها كما في اناشيد عرب المعدان في العراق))( ) وحين دخل الزهاوي في خصومة حول الشعر المرسل يؤكد اهمية الوزن في الشعر العربي اذ يقول:- ((وأني لأغار على الوزن اكثر من غيري معتقداً انه لا يتم الا به فهو قوامه….وغايةٍ ما في الامر أني لا حصر الاوزان فيما جمعه الخليل للشعر الجاهلي بل اترك للشاعر الخيار الذي ينظم فيها أوفي غيرها مشترطاً ان يكون للوزن الذي ينظم فيه موسيقى تقبل التلحين واي تثريب على الشاعر ان ينظم بلغة فصيحة شعره على اوزان تلائم الاغاني العصرية التي ينظمها اليوم اصحاب الاناشيد في مصر وسورية او توافق ما تغني به قبيلة المعدان في العراق من رجال ونساء والاوزان والقافية من مثل ما ينظم فيه شاعر العامة الملا عبود))( ) وفي عام 1927 حين دخل الزهاوي مع هيكل بمعركة حول الشعر والنثر نجد تطوراً في موقفه عن التجديد في الاوزان وعودة جديدة الى اوزان الخليل وهذا تناقض في ارائه حيال الوزن الشعري اذ يقول:- ((وليس على حق ذلك الناقد الذي يقول بوجوب ان لا يحصر الشاعر الذي يعالج الشعر في العربية الكتابية نفسه بين اوزان الخليل المحدودة ولا يكلف الشاعر اكثر مما في وسعه فإن الشعراء فكروا في ذلك طويلاً ولكن الإعراب الذي هو من خصائص اللغة الكتابية لم يسمح لهم ان يتوفقوا إلا الى شيء يسير من الاوزان التي هي خارجة عن اوزان الخليل ذلك لان لغة الاعراب لها اغانٍ خاصة هي اوزان العروض فإن لكل وزن ضرب من الغناء كان للعرب الجاهليين ولأن الاغاني العصرية وليدة اللغات التي هي مطلقة من قيود الاعراب فإذا قدرتُ ان تجعل لغة التكلم لغة الشعر تولد الاوزان الجديدة من نفسها، أما ارادة اوزان جديدة تلائم الاغاني العصرية من الذين يقرضون الشعر في اللغة الكتابية فيكاد يكون طلباً للمحال))( ). ويعجب الدكتور داود سلوّم من عودة الزهاوي في حماسته للاوزان القديمة التي يرى فيها إنموذجاً كاملاً بل راقياً تفوق في موسيقاها الاوزان الغربية( ) وهو الذي عدّ من اسباب تأخر الشعر الجمود على القديم من الاوزان فقال:- ((وليس من الاوزان القديمة كبير ضررٍ وهي في الاغلب ارقى من الاوزان الغربية لأن اكثر البحور مركب من تفاعيل مختلفة بخلاف ما تألف من مقاطع متشابهة والتركيب دليل الرقي))( ).

وربما رجع الزهاوي في رأيه المتناقض هذا الى ان اوزان الخليل التي وجد فيها من السعة والشمولية اكثر من الاوزان الغربية على استيعاب الشعر لان بحور الخليل تقوم على مجررين الاول تكرار التفعيلة والآخر المزاوجة بين تفعيلة واخرى ومن خلالهما تظهر الموسيقى الشعرية أو الرنة الموسيقية للقصيدة العربية وبهذا تستوعب هذه الاوزان الحياة الجديدة بالفكر الجديد وهي تفيض بمشاعر الانسان الحديث بما فيها من آمال وآلام وأزمات نفسية.

وفي اشتقاقه للاوزان ينفذ الزهاوي الى بيان اتساع المدى امام الشاعر وحريته في اشتقاقها غير انه اشترط للاوزان المشتقة ((أن تكون خفيفة على السمع كما إذا اتى لكل شطرٍ بالفاظ على أوزان فعولن ـ فعلن او مفاعيلن فعولن او مستفعلن لن فعولن او فعولن مستفعلن لن او فعلن مستفعلن فعلن او مفاعيلن فاعلاتٌ إلى غير ذلك))( ) ويرى عباس توفيق إن الوزن ليس ثمرة للانفعال وانما هو أمر يحدده الشاعر أولاً ويضعه نصب عينيه في النظم فيختار وزناً خفيفاً استجابة لدعوة الزهاوي هذه وهذا يعني ان خفة الوزن لم تتبع الانفعال وان الوزن لم يتبع من الشعر نفسه وإنما صار عنصراً مفروضاً عليه من الخارج( )ويبقى الزهاوي كما هو واضح على الهندسة القديمة لنظام القصيدة العربية من حيث تألف البيت من شطرين وتـقنين كل شطر بعدد محدد من التفاعيل وهذا ينبي عن عدم إستطاعته ايجاد تقنيات مستحدثة تخدم الشاعر في الخلق الادبي وانما اكتفى بتركيب اعاريض جديدة تصبح إنموذجاً يقلده الشعراء الاخرون في تركيبهم الاعاريض( ). وأياً كان الامر فإن الزهاوي لم يسبغ من دعوته على ابتكار اوزان جديدة إلا الخير للشعر العربي وظنّ أن اشتقاق الوزن سيفجر نبعاً يثري هذا الشعر ويسد فيه فجوات عديدة، لكنّ جهله في اللغات الاوربية( ) حال دون اطلاعه على نظام عروضي جديد يفتح له افقاً اوسع في التعامل مع عروض الشعر العربي لأن اللغات التي يتقنها هي التركية والفارسية والكردية فإن نظام القصيدة فيها من الناحية العروضية يماثل النظام العربي الى حدٍ كبير( )، كما تأثر الزهاوي بدعوته الى توسيع دائرة الاوزان بحركات التجديد العربية في مصر والمهجر وكان هذا الاثر فعالاً في إذكاء حماسه واندفاعه في سبيل هذه الدعوة.